

مجلة المجمع العلمي العربي

التشرين الأول سنة ١٩٥٢

١٢ المحرم سنة ١٣٧٢

احمد فتحي زغلول

(١٣٣٢ هـ)

ولد في ايبان من عمل الفريية في مصر وأخذ التعليم الابتدائي والثانوي من مدارس مصر والاسكندرية . كان الاسم الذي اختاره له أبوه «فتح الله صبري» فلما رأى ناظر المعارف ما كان يتجلى فيه . من التبوغ سماه باسمه «احمد» واختار له من الألقاب «فتحي» فكان احمد فتحي زغلول ، وزغلول اسم أسرته . ثم أوفدته المعارف الى أوروبا فحذق علم الحقوق في باريس وتمكن من الآداب الفرنسية وجاء مصر فتولى وظائف كبيرة حتى بلغ منصب وكيل وزارة العدل وعني بما طلب منه وضعه من اللوائح والقوانين وهو الذي وضع لأئحة اصلاح الأزهر ولأئحة اصلاح المحاكم الشرعية . وكان أترابه يشهدون بتفوقه عليهم في هذا المعنى .

قال فيه عبد اخلاتي ثروت من علماء مصر وقضاتها انه «نبغ في المعقول والمنقول ومعه الأدب الجم تزينه البلاغة ويزنه المنطق الصحيح الى العلم العزيز»

وثبتته الحكمة ، وتؤيده قوة العارضة الى صفات نادرة في تصريف الأمور ، وكان كاتباً مبدعاً وخطيباً مفوهاً ، وذا ذوق سليم فيما لم يمانه من الفنون وعلى جانب من دماثة الأخلاق والتواضع والبعد عن الدعوى يجمع الى هذا كله « شفقاً غريباً بحسن التنسيق والتنظيم » و « ان جهاده في عام واحد من أعوام حياته يقصر دونه جهاد رجال في أعوام ، ولم يقصر همته على أعمالها الكثيرة العظيمة بل كنت تجده عاملاً في كل شأن من الشؤون العامة » « حياة كلها جهاد وعمل لم يوت فيها عقله وجسمه فسطها من الراحة ، مدفوعاً الى ذلك بعوامل فطرية ، مغالبا نوااميس الطبيعة » .

كانت رجل عمل يدعو الى تحييه الى الناس وتعليمهم طريقته الرشيدة ولم يكن رجل ثورة لأنه يكره الثورات ويمتقد مضرتها ، وعنده أن القانون الحسن ما احتمله الأمة ونفذته راضية به مستعدة له ، ويرى أن خير التعاليم السياسية والاجتماعية ما لاءم طبائع الأمة وكانت فيها قوة على خصمها وجبر مواطن النقص فيها .

« شهد له كل ذي علم وفهم في مصر بأنه بذء الأقران لم يجمع مالا ولم يتأثر عقاراً ، ولم يترك درهماً ولا ديناراً » ، وقالوا في صفاته الشخصية انه كان حسن العشرة حلوا المفاكحة ، نزيه النفس واللسان ، يرضي كل جلس بغير دهان ، لا يميل جليبه جدّه ، ولا يهبط بوقاره هنزله ، وكان متأثقاً في زيه ومعبثته من دون ما تكلف .

وقال الشيخ محمد الخضري من أساتذة العصر في مصر : « أما خلقه فقد منح منه ما يحييه الى النفوس ، ويقربه الى القلوب طلاقة وجه وصحة صدر وتواضع الأشراف . كنا اذا أخذنا معه في مسألة رأينا منا قريباً على رفعة شأنه وعلو مقامه ، وربما بدرت منا الكلمة في تخطئة الرأي فيفسح لها صدره ، ويلقاها لا تأفف ولا ضجر . وأما اطلاعه على دقائق الفقه وأصراره فقد كنا

نجلس اليه وقد محصنا المسألة تمحيص من يريد النزول الى الميدان ومباهاة الأقران الى ما يجيز لنا أن الفقه علينا موقوف وعن غيرنا مصروف ، فلا نلبث ان نرى ذلك السيل الدافق وقد رجعنا الى أول مرحلة من مراحل البحث بما يمارض به عال الفقهاء ، وكان لشغفه بالقواعد العامة يستدرك على ما يخالفها من جزئيات المسائل فكان يحمل جليسه على البحث والاصتقاص ويمدل الفكر اذا زاغ ، ولم يكن صممه وعمله الا فيما يرضي ضميره من كتاب يؤلف أو يترجم أو عمل صالح يقدم للجمهور من أمته » .

أتقن من لغات العلم الألمانية والانكليزية والفرنسية مئات من المصريين والشاميين والنونيين والعراقيين فكانت لهم أدوات تفاخر لتوصلهم الى الاستخدام في حكوماتهم ولكن احمد فحي زغلول أحكم الفرنسية والعربية وما غفل ساعة عن تعريب الكتب وتأليفها يحملها لأمة فينير سبيلها الى العلم ويدعوها الى النهوض ، وما ألف ولا نقل من الغرب الا ما اعتقد نفعه للناس لا يقال انه ألف ونقل فما نقل وجود فيه ، وكل تأليفه وترجماته كان مجوداً فيها ، « أصول الشرائع » لبنتام و « خواطر وصوانح في الاسلام » لدي كاستري و « سر تقدم الانكليز السكسونيين » لادمون دي مولين وهو الكتاب الذي أثر في العقول ، ومما عرّب عن الحكيم غشاف لبون « روح الاجتماع » و « سر تطور الأمم » وترجم « جوامع الكلم » و « رسالة مصطفى فاضل الى السلطان عبد العزيز ينصحه فيها وبذكر له ما أصيب به دولته من الانحطاط » . ومن تأليفه « الحماسة » و « رسالة في التزوير الخطي » و « شرح القانون المدني » ويقول علماء هذا الشأن ان هذا الشرح من أمتع ما كتب علماء الحقوق . وكان له فضل في وضع المصطلحات القضائية التي لم تكن معروفة فاختر من العربية ما ينطبق عليها . وكان دقيقاً فيما ينقل يحافظ في ترجمته على أفكار المؤلف لا يمسح ولا يحرف . وبلغ من تضامه من الفرنسية أن كان بلتي نظرة على كتاب علم كتبها و يترجم عبارته ببيان

عذب لا يشر عليه أنه يترجم بل يقرأ من كتاب . كان له اللسان الغربي
أجل أداة ينفع بها أمته ورأى أن يحمل إليها الفائدة من طريق التعريب لعله
بتفوق الغرب علينا في جميع العلوم .

لم يهدف المترجم له للخمسين من عمره وأخرج للعربية هذا المحصول الجيد
من علم العلماء والمفكرين بلفظ جزل سلس واضح وكان مع هذا لا يحرم نفسه
من مباحيها ولا قومه من العناية بخصوصياتهم بفشام في أفراحهم وأتراحهم
ويشاركهم في آلامهم وآلامهم ويتمتع نفسه بنصيبها من الرفاهة والنعم . ولو كان
كل من تعلم على طريقة فتحي مثله على جانب من بعمد المهمة ومعرفة الواجب
لقومه عليه لكان لنا من مجموع ما نخطه أقلامهم ويصدر من آرائهم وتجاربهم
كثير نرجع الى ركازه في تنمية ثروتنا العلمية والمادية .

نقل فتحي أفكار غيره أكثر مما دون لنا أفكاره الخاصة لابقائه النفع العام
في هذه الطريقة فخالف بذلك طريقة صديقه محرر المرأة قاسم أمين فان هذا
دوّن تجاربه وتصوراته وجرأ على نشرها للناس . ولو مال الى الاكثار من
نشر أفكاره الخاصة أكثر من نشر أفكار غيره لثم الخير للعقوئـ على يده
أكثر مما تم ولذلك كان أحد كبار أساتذتنا يقول ان مقدمة « سر تقدم
الانكليز السكونيين » أفيد من الكتاب الأصلي الذي عربيه فتحي .

قال في مقدمة كتاب « سر تقدم الانكليز السكونيين » من تعريبه وفيه
مثال من حكم القاضي العادل على قصور أمته : « ضعفنا حتى أصبحنا نرجو كل
شيء من الحكومة فهي التي نطالبها بحفظ حياتنا ، وخصب أرضنا ، وترويج
تجارتنا ، وتحسين صناعتنا ، هي التي نطلب منها أن تربي الأبناء ، وتعلم الفقراء
وترزق المعجزة ، وتنبني أسباب البطالة ، وتحفظ الأخلاق ، وتلمّ شعث العائلات ،
وتجمع أشعث القلوب ، هي التي نطالبها بتعويض ما نقص من ارادتنا ، وتقويم

ما عوج من سيرنا وصيرتنا ، ورد هجمات المزاكين عنا ، والسهر على مصالح كل واحد منا ، فاذا تأخرنا في عمل من تلك الأعمال باهمالتنا ، رميناها بسوء الإدارة ، واتهمناها بيج الأثرة ، وألقينا عليها تسمية خمولنا كلها .

« ولا ريب أننا بهذا الزعم قد ضللتنا السبيل ، فانما الحكومة وازع لا يكف الا ما اقتضته طبيعته ، وشأن الحكومات في الأمم تأييد النظام وحفظ الأمن وإقامة العدل ، وتسهيل سبل الزراعة ، ومعاودة بعضهم بنصاً على ما يضمن حرية التجارة ، وتشجيع أهل الصناعات والحرف ، كما تقتضيه المصالح المشتركة ، وعلى قدر ما تسمح به امکانات ، وبالجملة فالحكومة وازع عام لا واجب عليه الا الأمر العام مما يدخل تحته جميع الناس ، ولا يفرد بالاستفادة منه واحد بخصوصه ، وعلى الأمة بعد ذلك أن تستفيد من هذا النظام ، وتنتهز فرصة الأمن والطمأنينة لتسعى وراء منافعها ، وتطلب الكمال في زراعتها وصناعاتها وتجارتها ، وفي نشر المعارف واحياء العلوم ، وفي أداء الواجب والمحافظة على الحقوق » اهـ .

كان احمد فتحي زغلول يكبر شقيقه سمد زغلول بضع سنين خُلد اسم هذا بعمله العظيم لاستقلال مصر وكان رجل ثورة ، وخلد اسم فتحي بتأليفه استفاد منها ابن مصر وأبناء العرب عامة وحرص على النهوض بأمته من طريق العلم وبث الملكات الصحيحة في النفوس .

محمد كرد علي

www.alukah.net